حكايات قبل النوم

(٨)

أَحْسَنُ مِنَ القَمَرِ..وَلَكِنْ!!

الدكتور

محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

أحسن من القمر!!

كان (عيسىٰ بن موسىٰ) يحبُّ زوجته حبّاً شديداً ، فقال لها يوماً :

أنتِ طالقٌ إنْ لم تكوني أَحسنَ من القمر!!

فَنَهضتْ ، واحْتجبَتْ عنه ، وقالت : قد طَلَّقْتَني ، فباتَ بليلةٍ عظيمةٍ...

فلما أصبح غدا إلىٰ الخليفةِ (المنصور) ، وأخبره الخبرَ ، وقال : يا أميرَ المؤمنين! إنْ تمَّ طلاقُها ، تَلِفَتْ نفسي غمّاً ـ أي مات حزناً عليها ـ ، وكان الموتُ أحبَّ إليّ من الحياة .

وظهر (للمنصور) منه جَزَعٌ شديدٌ ، فأحضرَ الفقهاءَ ، واستفتاهُمْ .

... فقال جميعُ مَنْ حَضَر : قد طلقتْ ، إلا رجلٌ من أصحابِ أبي حنيفةَ ، فإنه سكت..

فقال له المنصور : مالكَ لا تتكَلَّم؟

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1] .

فلا شيءَ أحسنُ من الإنسانِ .

فقال (المنصور) لعيسىٰ بنِ موسىٰ : قد فَرَّجَ اللهُ تعالىٰ عنكَ ، والأمرُ كما قال : فأَقِمْ علىٰ زوجَتِكَ...

وراسَلَها أنْ أَطيعي زوجَكِ ، ولا تعودي إلىٰ ما كنتِ عليه...

* * *

---

(١) سورة التين : /١-٤/ .

فقد حَبِطَ عمله

عن وُهيب بن الورد قال :

بلغَنا أنّ عيسىٰ عليه السلام مرَّ هو ورجلٌ من بني إسرائيل من حواريِّيهِ بلصٍّ في قلعةٍ له .

فلما رآهما اللصُّ ألقىٰ اللهُ في قلبِه التوبةَ .

قال : فقال لنفسِه : هذا عيسىٰ ابنُ مريم عليه السلام ، ورُوْحُ اللهِ وكَلمتُه ، وهذا حواريُّه ، ومن أنتَ يا شقيّ؟ لصّ بني إسرائيلَ : قطعْتَ الطريق ، وأخذْتَ الأموالَ ، وسَفَكْتَ الدماءَ!

ثم هبط إليهما تائباً نادماً علىٰ ما كانَ منه ، فلما لحقَهُما ، قال لنفسه : تريدُ أن تمشي

معهما؟ لستَ لذلك بأهلٍ! امشِ خلفَهما كما يمشي الخطَّاء المذنبُ مثلك!

قال : فالتفتَ إليه الحواريُّ فَعَرَفَه ، فقال في نفسه : انظرْ هذا الخبيثَ الشقيَّ ومشيَه وراءَنا!

قال : فأَطْلعَ اللهُ سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما في قلوبِهما من ندامتهِ وتوبتهِ ، ومن ازدراءِ الحواريِّ إياه وتفضيلِه نفسَه عليه .

قال : فأوحىٰ اللهُ تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ ابنِ مريم... ، أنْ مُرْ الحواريَّ ولصَّ بني إسرائيل أن يأتنفا العملَ جميعاً...

أما اللصُّ فقد غَفَرْتُ له ما قد مضىٰ لندامتهِ وتوبتهِ ، وأما الحواريُّ فقد حَبِطَ عملُه لعُجْبه بنفسهِ ، وازدرائه هذا التوَّابَ...

* * *

فكيف لو رأوها؟!

في صحيح البخاري هذه الحكاية الهادفةُ :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ :

« إن للهِ ملائكةً سيّاحين ـ أي يطوفون ـ في الأرضِ ، فضلاً عن كُتّابِ الناس ، يطوفون في الطُّرُقِ ، يلتمسون أهلَ الذِّكْر...

فإذا وَجدُوا قوماً يَذكرونَ اللهَ ، تنادَوا : هَلُمُّوا إلىٰ حاجاتِكم ، فَيَحُفّونَهم بأجنحتِهِمْ إلىٰ السماءِ الدنيا .

فيسألُهم ربُّهم ـ وهو أعلمُ منهم ـ : « ما يقولُ عبادي؟ » .

فيقولون : يُسبِّحونَكَ ، ويُكبِّرونَكَ ، ويَحْمَدونَكَ ، ويُمجِّدونك..

فيقول سبحانه : « هل رأَوني؟ »

فيقولون : لا واللهِ ما رأَوكَ .

فيقول : « كيف لو رأَوني؟ »

فيقولون : لو رأوكَ كانوا أشدَّ لك عبادةً ، وأشدَّ لك تمجيداً ، وأكثرَ لكَ تسبيحاً .

فيقول تعالىٰ : « فما يسألوني؟ »

فيقولون : يسألونكَ الجنة .

فيقول سبحانه : « وهل رأَوها؟ »

فيقولون : لا واللهِ يا ربّ ما رأَوها .

فيقول سبحانه : « فكيف لو أنّهم رأَوها؟ »

فيقولون : لو أنَّهم رأَوها كانوا أشدَّ عليها حِرصاً ، وأشدَّ لها طَلَباً ، وأَعظَم فيها رغبةً...

فيقولُ سبحانه : « فممَّ يتعوَّذون؟ »

فيقولون : مِنَ النارِ .

فيقولُ الله تعالىٰ : « هل رأَوها؟ »

فيقولون : لا واللهِ يا ربِّ ما رَأوها..

فيقولُ سبحانه : « فكيفَ لو رأَوها؟ »

فيقولون : لو رأَوها كانوا أشدَّ منها فِراراً ، وأشدَّ لها مَخافةً...

فيقول سبحانه : « فأُشْهِدُكُمْ أني قد غَفَرْتُ لهم... »

فيقول ملكٌ من الملائكة : ولكنْ يا ربَّنا... فيهم فلانٌ ليس منهم ، إنما جاء لحاجةٍ؟

فيقول أرحمُ الراحمينَ سبحانه : « هُمُ القومُ لا يَشْقىٰ بِهِمْ جَليسُهُمْ » .

* * *

وعاد إليه ماله!!

روىٰ الإمام (ابنُ الجوزي) هذه الحكايةَ المقيدة ، فقال :

بلغني أنّ رجلاً قَدِمَ إلىٰ بغدادَ للحجِّ ، وكان معه عِقْدٌ من الحبّ يُساوي ألفَ دينارٍ .

فاجتهدَ في بيعِهِ ، فلم يَنْفَقْ - أي لم يُبَعْ ... ، فجاء إلىٰ عَطّارٍ موصوفٍ بالخيرِ ، فأودَعَه إيّاه ، ثم حجَّ وعاد .

فأتاه بهدِيّةٍ ، فقال له العطّارُ : مَنْ أنتَ ، وما هذا؟!

فقال : أنا صاحبُ العِقْدِ الذي أَوْدَعْتُكَ..

فما كلّمه العطّار حتىٰ رَفَسَهُ رَفْسَةً رماهُ عن مكانِه.. وقال : تدّعي عليَّ مثلَ هذه الدعوىٰ...!؟

فاجتمع الناسُ وقالوا للحاجِّ : ويلكَ هذا رجلُ خيرٍ ، ما لحقتَ مَنْ تدّعي عليه إلا هذا؟!

فتحيرّ الحاجُّ ، وتردَّد إليه ، فما زاده إلا شَتْماً وضَرْباً...

فقيل له : لو ذهبتَ إلىٰ عَضُدِ الدولةِ ، فله في هذه الأشياءِ فِراسةٌ ، فكتبَ قصّتَه وجعلها على قَصَبةٍ ، ورفعَها لعَضُدِ الدولةِ...

فصاح به ، فجاءَ ، فسألَه عن حالِهِ ، فأخبره بالقصةِ...

فقال : اذهبْ إلىٰ العَطّارِ غداً ، واقعُدْ علىٰ بابِ دُكّانِه ، فإنْ منعَكَ فاقعدْ علىٰ دكانٍ تُقابلُهُ ، من الصبحِ إلىٰ المغربِ ، ولا تكلِّمْهُ... وافعل هكذا ثلاثةَ أيام ، فإني أَمُرُّ عليكَ في اليوم

الرابعِ ، وأقفُ وأسلّمُ عليك ، فلا تَقُمْ لي ولا تردَّ عليَّ السّلام وجواب ما أسألك عنه... فإذا انصرفتُ فأعِدْ عليه ذِكْرَ العِقْدِ ، ثم أعلِمْني ما يقولُ لكَ ، فإنْ أعطاكَهُ فجيء به إليَّ...

قال : فجاء إلىٰ دُكّانِ العَطّارِ ليَجْلِسَ ، فمنعَه ، فجلس بمقابلتِه ثلاثةَ أيامٍ ، فلما كان اليومُ الرابع ، اجتازَ عَضُدُ الدولةِ في مَوكِبه العظيمِ ، فلما رأىٰ الخُراسانيَّ وقفَ وقال : سلامٌ عليكم ، فقال الخراساني ـ ولم يتحرَّكْ ـ : وعليكم السلام .

فقال : يا أخي! تَقَدَّمْ فلمَ لا تأتي إلينا... ولا تعرضْ حوائجَكَ علينا...؟ فقال كما اتفق ولم يشبعْهُ الكلام وعَضُدُ الدولةِ يسألُه.. ويستخفي.. وقد وقف العسكرُ...والعطّار قد أُغمي عليه من الخوف...

فلما انصرفَ ، التفتَ العطّارُ إلىٰ الحاجّ فقال : ويحَكَ؟ متىٰ أَوْدَعْتَني هذا العِقْدَ ، وفي أيِّ شيءٍ كان مَلْفوفاً؟! فذكِّرني لعلِّي أذكره...

فقال : مِنْ صِفَتِهِ كذا وكذا... ، فقام وفتَّشَ ، ثم نقضَ جرّةً عنده فوضعَ العِقْدَ ، فقال : قد كنتُ نسيتُ ، ولو لم تذكّرني الحال ما ذَكَرتُ .

فأَخَذَ العِقْدَ ، ثم قال : وأيُّ فائدةٍ لي في أنْ أُعْلِمَ عَضُدَ الدولة؟!

ثم قال في نفسه : لعلّه يُريدُ أن يَشْتريَهُ؟ فذهب إليه فأعلمَهُ...

... فبعثَ به مع الحاجِبِ إلىٰ دُكّانِ العطار ، فعلَّق العِقْدَ في عنقِ العطّار ، وصَلَبَه بباب الدُّكان ، ونُوديَ عليه :

هذا جَزَاءُ مَنِ استُودعَ ، فَجَحَدَ!!

... فلما ذهب النهارُ ، أَخَذَ الحاجبُ العِقْدَ ، فسلَّمهُ إلىٰ الحاجِّ ، وقال : اذهبْ .

فخرجَ الحاجُّ فَرِحاً مسروراً بعودةِ مالِهِ إليه..!!

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين

* * *